الريح والرياح في القرآن الكريم «دراسة دلالية»

د. حنان محمد أبوليدة •

ملخـــــص

جاء هذا البحث لتوضيح المعاني الدلالية لِـ (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم؛ للكشف عن الإعجاز الدلالي في استخدام لفظتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم ؛ لما لذلك من أثر في التدبر والتفكر في ما خلقه الله من ظواهر الطبيعة، وبيان أثره في حياة البشر من جهة، ولتوظيف لفظتي (الريح) و(الرياح) توظيفًا صحيحًا لدى أبناء العربية نطقًا وكتابة من جهة أخرى. وخلص إلى عدد من النتائج والتوصيات، وتمثّلت النتائج في توضيح دلالة كلمتي (الريح) و (الرياح) في الآيات التي وردت فيها ، أمّا (الريح) فجاءت للدلالة على معان عدّة ، أبرزها الدلالة على العذاب ، وتوضيح حالات معينة خاصة بالبشر، يجمع بينها معنى الضرر، وأمّا (الرياح) فجاءت للدلالة على إثبات وحدانية الله، وتوضيح أدلة قدرته عزّ وجلّ. وظهر اتفاق بين الريح والرياح في الدلالة على معنى التسخير، أي تسخيرها لخدمة البشر. و ظهر فرق بين (الريح) و(الرياح) مفاده أن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة، والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت بالجمع (رياح).

Abstract

This research come to explain semantic meanings of two words in the holy Quran, “ Rieh” and “ Riyah” (two Arabic words which mean “Wind” the first word is singular and the second one is plural as in the Arabic morphological structure). This come to show the impressive of semantics in using these two words “ Rieh” and “ Riyah” in Quran, and how this can impact on meditation

• جامعة الملك خالد .

and thinking of God creation, and it is impact on human life as well, and to show Arabs how these two words can be correctly used and written. Many results and recommendations have been reached, the result can be represented in the explanation of the semantic meaning of these two words " Rieh" and " Riyah" , as it has been mentioned in verses of the holy Quran, the first word comes to explain different semantic meanings, it is most semantic gist is " torture", and also comes to explain special conditions of human which affect them badly, while the second word comes to explain the grandeur of God and his majority. There is also a similar semantic gist for both words, both of them used to explain importance and significant of wind in human life. There is also two different semantic gist, saying that the singular form of the word wind comes to signify " torture", while the plural form comes to signify " Mercy".

مُقَدِّمَـــــة

لا شك أن القرآن الكريم بما فيه من ألفاظ وتراكيب وصور بلاغية، وإيحاءات دلالية وحقائق علمية، وغيرها من علامات الإعجاز المعين الذي لا ينضب للدراسات والدارسين، للكشف عن جوانب الإعجاز التي جعلت منه معجزة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

وستبقى محاولات الكشف عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من قبل الباحثين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها؛ وذلك للتعمق في فهمه وتدبُّره، بغرض العمل بما جاء فيه كما أمرنا الله عز وجل.

وللوقوف على جانب من جوانب الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم جاءت هذه الدراسة تتناول دلالة (الريح) و(الرياح) كما وردت في مواضعها

في آيات القرآن الكريم.

ومن أجل هذه الغاية تتبعت المعنى اللُّغوي لـ(الريح) و(الرياح) كما وردت عند اللُّغويين، ثم تناولت دراستها من ناحية دلالية وأوضحت إعرابها وإعراب قراءاتها إن وجدت؛ لما يضيفه الإعراب من توجيه وتوضيح لدلالتها في النص القرآني، وبدأت بِـ(الريح) ثم أتبعتها بِـ(الرياح).

وتناولت الآيات حسب ترتيبها في السور التي وردت فيها، وخلص البحث إلى خاتمة توضح النتائج والتوصيات.

واعتمدت لإتمام هذه الدراسة عددًا من التفاسير والمصنفات اللُّغوية التي رأيت أنها تفي بهذا الغرض، كما اعتمدت كتب القراءات لتخريج القراءات الواردة في بعض الآيات.

أهداف البحث:

١- توضيح المعنى اللغوي لِـ (الريح) و (الرياح).

٢- توضيح المعاني الدلالية لِـ (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم.

٣- بيان دور القراءات القرآنية لمفردتي (الريح) و(الرياح) – إن وجدت- في توجيه المعنى الدلالي لكل منهما.

٤- تنمية الثروة اللغوية من خلال الوقوف على صفات الريح مثل : عاصف ، صرصر وغيرها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الكشف عن الإعجاز الدلالي في استخدام لفظتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم لما لذلك من أثر في التدبر والتفكر في ما خلقه الله من ظواهر الطبيعة، وبيان أثره في حياة البشر من

جهة، ولتوظيف لفظتي (الريح) و(الرياح) توظيفًا صحيحًا لدى أبناء العربية نطقًا وكتابة من جهة أخرى.

سبب اختيار الموضوع:

ملاحظة الاختلاف الدلالي بين مفردتي (الريح) و(الرياح) في السياقات التي وردت فيها في القرآن الكريم. ومن ثمّ جاءت هذه الدراسة للكشف عن المعاني التي تضمنتها اللفظتان ، وتلمّس العلاقة الدلالية بينهما إنْ وجدت.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي ، باستقراء الآيات الكريمة التي تضمنت لفظتي الريح والرياح ، وتتبعها في المظانّ والمصادر التي وردت فيها، وتحليل المعاني الدلالية لكل منها.

هيكل البحث:

المبحث الأول: **(الريح) و(الرياح) في اللغة.**

المبحث الثاني: **المعنى الدلالي لـ(الريح) في القرآن الكريم وتضمّن المعاني الآتية:**

١- جاءت دالة على العذاب.

٢- جاءت في بعض الآيات لتوضيح حالات معيّنة، تتضح من خلال كل آية.

٣- جاءت ترتبط بمعنى التسخير.

٤- جاءت في كل آية تدلّ على معنى خاص، مثل: الدولة، القوة، الرائحة الزكية.

المبحث الثالث: **المعنى الدلالي لـ (الرياح) في القرآن الكريم، وتضمّن المعاني الآتية:**

١- إثبات وحدانية الله عزّ وجلّ.

٢- توضيح قدرة الله بتسخيرها للرحمة والخير للبشر.

٣- ذكرها كدليل من أدلة قدرة الله عزّ وجلّ.

خاتمة البحث: وتتضمّن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

الريح والرياح في اللغة ودلالاتها في القرآن الكريم

تعددت المعاني التي ذكرها اللغويون لمعنى (الريح) وهي تكاد تنحصر في ما يلي:

"الريح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كلّ شيء، وهي مؤنثة"[١]، "والريح: وهو الهواء المسخر بين السماء والأرض"[٢]، ومن معانيها الغلبة والقوة[٣]، "والرحمة والنصرة والدولة والشيء الطيب الرائحة"[٤]، وحين نقول: "رجل ساكن الريح: نعني وقورًا"[٥].

والريح مفردة والجمع رياح وأرياح[٦]، وتجمع أرواح؛ وذلك لأن أصلها واو، غير أنها جاءت بالياء لانكسار ما قبلها[٧].

(١) لسان العرب، ابن منظور، م٢/٤٥٥، (روح).
(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج٢/١٤٨، (روح).
(٣) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج١/٢٣٢،(روح)، وانظر الصحاح، ج١/٣٦٨، (روح).
(٤) القاموس المحيط، ج١/٢٣٢، (روح).
(٥) انظر المعجم الوسيط، أخرجه د. إبراهيم أنيس وآخرون، ج١/٣٨١، (روحة).
(٦) الصحاح، ج١/٣٦٧، (روح).
(٧) جمهرة اللغة، ابن دريد، ج٢/١٤٧، (روح).

المعنى الدلالي لـ (الريح) في القرآن الكريم:

معنى (الريح) في السياقات الواردة فيها في القرآن الكريم؛ بغرض دراسة معناها الدلالي، وكيفية توظيفها في تلك السياقات.

من خلال البحث عن السياقات التي وردت فيها كلمة (الريح) وجدت أنها وردت بمعان متعددة، سأحددها وأذكر الآيات التي تندرج تحت كل منها، وهي كالآتي:

أولاً: (الريح) التي وردت في سياق الحديث عن العذاب، وكانت الوسيلة التي عذب الله بها الكافرين وكل من عصاه.

ومن الآيات التي وردت فيها قوله تعالى: ﴿فَيُرسِلَ عَلَيكُم قَاصِفا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغرِقَكُم بِمَا كَفَرتُم﴾ [الإسراء: ٦٩].

والخطاب هنا للكافرين وللمعرضين عن عبادة الله[١]، وكانت عقوبتهم على فعلهم أن أرسل الله عليهم ريحًا قاصفًا أغرقتهم لم تبقِ لهم بقية[٢]، والقاصف: تقصف كل شيء وتحطمه[٣]، وهي الريح ذات الصوت الشديد، كأنها تتقصّف، أي تتكسّر، ولا تمرّ بشيء إلاّ قصفته[٤]، وقيل: هي البحار التي تكسر المراكب وتغرقها[٥]، وقيل: القاصف، أي العاصف[٦].

وجميع هذه المعاني كما يظهر تجعل من الريح وسيلة لتحقيق العذاب.

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٣٢٨.
(٢) انظر إعراب القرآن، ج١/٣٨٥.
(٣) انظر إعراب القرآن، ج١/٣٨٥.
(٤) انظر الكشاف، ج٢/(٦٧٩-٦٨٠).
(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٣٢٨.
(٦) الدر المنثور، ج٤/٣٤٩.

ومن هذه الآيات التي اقترن فيها معنى الريح بالعذاب قوله تعالى: ﴿ فَتَخطَفُهُ ٱلطَّيرُ أَو تَهوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

والآية الكريمة تتناول عقوبة الكافر، الذي أهلك نفسه إهلاكاً لا نهاية بعده، فشبه حاله بحال من خرَّ من السماء، فاختطفته الطير، أو عصفت به الريح، في مكان بعيد(١).

والذي خرّ من السماء سقط منها، إلى أن تخطفه الطير فتقطعه في الهواء، أو تهوي به الريح، بمعنى تهلك بأثرها من هوى في ذلك المكان البعيد(٢).

وبذا نجد أن فعل الريح هنا جاء متممًا لصورة العذاب الذي يلحق بالكافر المُعرض عن ذكر الله.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ إِذ جَاءَتكُم جُنُود فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا وَجُنُودا لَّم تَرَوهَا ﴾ [الأحزاب: ٩].

نزلت الآية الكريمة في سياق الحديث عن العذاب الذي ألحقه الله بالأحزاب، "في يوم الخندق وهو يوم الأحزاب"(٣)، فالجنود المذكورون في أول الآية هم الأحزاب الذين تكاتفوا لحرب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة(٤)، وكانت عقوبتهم أن أرسل الله عليهم ريحًا هدمت بيوتهم، وأطفأت نيرانهم، وقلبت قدورهم، لم تمكنهم من قرار، وأرسل الله مع الريح (جنودًا) أي ملائكة تعينها وتفعل فعلها(٥).

(١) انظر الكشاف، ج٣/١٥٥.
(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٦٣٨.
(٣) معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٣٦.
(٤) انظر إعراب القرآن ومعانيه، الزجاج، ج٤/٢١٧.
(٥) انظر البحر المحيط، ج٨/٤٥٧.

وكانت هذه الريح أعظم دليل للنبي (صلى الله عليه وسلم) على أن الله عز وجل أرسل على أعدائه ريحًا شديدة البرد أضرَّت بهم، والمؤمنون قربهم لم يلحقهم منها أذى[1].

وبذا نجد أن الريح المذكورة في الآية سخرها الله تعالى لإلحاق العذاب بأعداء الدين، وتحقيق النصر للرسول والمسلمين.

من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا فِي أَيَّام نَّحِسَات﴾ [فصلت: ١٦].

نزلت الآية الكريمة في (عاد) بدليل الآية التي سبقت وهي: ﴿فَأَمَّا عَاد فَٱستَكبَرُواْ فِي ٱلأَرضِ﴾ [فصلت: ١٥]، و(عاد) من الأقوام التي كفرت وكذبت رسولها؛ ولذا أرسل الله عز وجل عليهما العقاب، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا﴾ [فصلت: ١٦]، واختار الله عز وجل لهذه العقوبة الريح الصرصر.

وتعددت معاني (صرصر)، فذكر الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، أنها الباردة التي تحرق كما تحرق النار[2]، وذكر أبو عبيدة (ت٢١٠هـ)، أنها الشديدة الصوت العاصف[3]، وهي كما ذكر الزمخشري (ت٦٠٦هـ) العاصفة التي تصوت في هبوبها[4]، وذكر ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) أنها قد تكون من (الصرة) وهي الصيحة[5]، وجميع هذه المعاني تدل على شدة وقوة هذه الريح؛ لتكون العقوبة التي نزلت بهم من جنس غرورهم بقوتهم[6].

(١) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٣٠٥.
(٢) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٣/١٣.
(٣) انظر مجاز القرآن، ج٢/١٩٦.
(٤) انظر الكشاف، ج٤/١٩٣.
(٥) انظر البحر المحيط، ج٩/٢٩٥.
(٦) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/١٦٧.

ولتحقيق هذه العقوبة النازلة بهم بـ(الريح) أرسلها الله عز وجل عليهم في أيام نحسات، ومعناها "أيام مشؤومات"[1]، مما يجعل تأثيرها في نفوسهم أشد وأقسى.

ومن الآيات التي ارتبط فيها معنى الريح بالعذاب قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

نزلت هذه الآية في عاد[2]، وقد استبشروا بقدوم المطر والخير الذي يحمله[3] كما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

غير أن الحقيقة لم تكن كما شاءوا من مطر يحمل الخير، بل كانت كما في قوله تعالى[4]: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

ومن هنا حدث الأمر الذي لم يكن في حسبانهم، ففي الوقت الذي ظنوا فيه بنزول المطر، وفرحهم بقدومه نزل بهم العذاب.

وكان عذابهم بالريح التي نشأت من (العارض) أي السحاب الذي شاهدوه[5].

وملخص القول: إن اختلاف التفسير لـ(الريح) تبعاً لقراءتها بالرفع والنصب لا ينفي معنى التسخير فيها، فحسب ما جاء في القراءتين أراد الله عز وجل أن يبين تسخيرها لسليمان تسير بحسب مشيئته بقدرة الله، وهي بذلك من معجزاته، وممّا فضّله الله به على العالمين.

(١) إعراب القرآن، النحاس، ج٤/٥٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٣٨٢.
(٢) انظر الدر المنثور، ج٦/١٥.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/٢٨٧.
(٤) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٣/٥٥.
(٥) انظر فتح القدير، ج٥/٢٣.

أمّا وصف هذه الريح المسخَّرة لسليمان (عليه السلام) بقوله (عاصفة)، وفي موضع آخر وصفها بقوله: ﴿رخاء﴾ [سبأ: ١٢]، فسأناقشه عند مناقشة تفسير (الريح) في الآية ١٢: من سبأ، وأرجأت الحديث فيها هنا تجنباً للتكرار.

ومن الآيات التي ورد فيها الريح بمعنى التسخير قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

وقد جاءت (الريح) في الآية الكريمة بقراءتين: النصب، والرفع، والنصب هو قراءة أكثر القراء[١]، وهو على معنى (وسخرنا لسليمان الريح)[٢]، وجعله بعض المفسرين على معنى (وألنَّا لسليمان الريح) نسقاً على (وألنَّا له الحديد)[٣]، والرفع على معنى (ثبتت له الريح) مؤول في معناه إلى معنى (سخرنا الريح)[٤]، أو على إضمار الخبر.

وأول معرفتهم بأن هذه الريح ريح عذاب رأوا رحالهم ومواشيهم تطير بين السماء والأرض كالريش، فدخلوا بيوتهم، وأغلقوا أبوابها، وكان من شدة تأثير هذه الريح أن فتحت الأبواب، وغمرتهم بالرمل، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم صوت أنين، فأمر الله عز وجل الريح، فكشفت عنهم الرمل وقذفت بهم في البحر، هالكين[٥].

وبذا تحقق الغرض الذي أرسل الله عز وجل الريح من أجله وهو العذاب الشديد الذي يصعب على العقل تصوّر تفاصيل أثره في قوم عاد الكافرين. ومن

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٢٤٥.
(٢) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٥٦.
(٣) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٣٣٥.
(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٢٤٥.
(٥) انظر الدر المنثور، ج٦/١٥.

هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذ أَرسَلنَا عَلَيهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

وقد تقدم ذكر العذاب الذي نزل بعاد في الآيات التي سبق وأوضحتها بواسطة الريح.

وفي هذه الآية وصفت الريح بـ(العقيم)، "وهي التي لا خير فيها ولا بركة"(١)، وهي "التي لا يكون معها لقحْ، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك"(٢)، وقيل هي: "المفسدة التي لا تنتج شيئاً"(٣)، و"التي لا تنبت"(٤).

وجميع المعاني التي ذكرت في معنى (عقيم)، تدل على انعدام الخير، بمختلف أشكاله كالمطر والنبات وغيرها، وجلب الفساد، وتحقيق الهلاك لمن أرسلت إليه؛ وبذا تحقق بها هلاك عاد، كما شاء الله عز وجل. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا فِي يَومِ نَحسٍ مُّستَمِرّ﴾ [القمر: ١٩].

وقد نزلت في عاد، وتقدم الحديث حول عذابهم بِـ(الريح الصرصر) في سورة: فصلت:١٦، في موضع سابق من هذا البحث، وأوضحت فيه معنى صرصر(٥).

وأرسلت هذه الريح عليهم في (يوم نحس)، وقيل: النحس الشديد(٦)، وهو المشؤوم(٧)، و"البلاء والشدة"(٨)، ولم ينزل العذاب في يوم نحس وحسب، وإنما هو يوم نحس (مستمر)، فهو "دائم الشؤم"(٩)، "استمر

(١) فتح القدير، ج٥/٩٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٥٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٦/٤٢٣.
(٤) الدر المنثور، ج٦/١٤٠.
(٥) انظر ص (٧) من هذا البحث.
(٦) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٤/٢٩١.
(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٨٨.
(٨) الدر المنثور، ج٦/١٨١.
(٩) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥/٨٨.

عليهم شره"[1]، وقد يكون المراد به (المستمر): الشديد المرارة والبشاعة[2]، اتصف باستمرار دماره وشره؛ لأنه يوم تحقق فيه اتصال عذابهم الدنيوي بالأخروي[3].

وهكذا لمّا أرسلت هذه الريح المهلكة الباردة الشديدة، في يوم مشؤوم مستمر بما فيه من دمار وشر، عذبت عادًا بقدومها إلى أن أهلكتهم.

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

تؤكد هذه الآية مرة أخرى عقاب عاد (قوم هود (عليه السلام)) جزاء لهم على كفرهم بالريح التي أرسلت إليهم.

وقد سبق ذكر معنى وصفها (صرصر) في موضع سابق من هذا البحث[4].

ووصف الله عز وجل هذه الريح بوصف ثانٍ، وهو قوله: (عاتية)، وقد ذكر المفسرون معاني متعددة لها فقوله: "عاتية زائدة على مقدار هبوبها"[5]، وشديدة الهبوب، عتت على عاد، فلم يقدروا على ردّها بأية حيلة، كاستتار ببناء، أو احتماء بجبل، أو اختفاء في حفرة، فكانت تنزعهم من أماكنهم وتقضي عليهم[6]، بلا رحمة[7]، وقيل: (عاتية) التي "عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار"[8]؛ مما يؤكد شدتها، وقيل: هي "الغالبة"[9]، ولعلّ من ذهب إلى هذا

(١) الدر المنثور، ج١٨١/٦.
(٢) انظر الكشاف، ج٤٣٦/٤.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤٧٥/٦.
(٤) ص (٧) من هذا البحث ////////////////.
(٥) إعراب القرآن، النحاس، ج١٩/٥.
(٦) انظر الكاشف، ج٥٩٩/٤.
(٧) انظر تفسير ابن كثير، ج١٠٠/٧.
(٨) البحر المحيط، ج٢٥٥/١٠.
(٩) الدر المنثور، ج٤٠٥/٦.

المعنى تنبّه إلى الغرض والغاية من إرسالها في تحقيق الغلبة على أعداء الله، وإهلاكهم.

وجميع ما تقدم من معان لِـ(عاتية) يحمل معنى تجاوز الحد في التأثير والشدة، التي يصل تأثيرها الى حد الإهلاك والموت، ولا يخفى ما يحمله تكرار الحديث حول العقاب الذي أنزله الله عز وجل بعاد في غير موضع في القرآن الكريم من معان عظيمة تتضمن تثبيت قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) وترسيخ عقيدته، وإعانته على الصبر وتحمل أذى الكافرين، وتأكيد نصر الله عز وجل لرسله الذين حُمِّلوا أمانة نشر رسالته في الأرض، وتثبيت المؤمنين الذين نصروا دين الله عز وجل على دينهم، ذلك أن توضيح شدة عقوبة من كفر بالله ورسله من الأمم السابقة، يقوي عزيمة هؤلاء المؤمنين، ويرسخ إيمانهم؛ لأنهم سيدركون أن الله سيضاعف ويبارك جزاءهم بالخير، وبما وعدهم من جنات ومغفرة، تماماً كما صدق وعده، ويصدق وعده في إنزال أشد عقوبة بالكافرين الذين تمادوا في عصيانه، وتكذيب رسالته، وفي ذلك أيضًا ردع للكافرين وإرهابهم؛ ليعلموا أن مَنْ عصى الله لن يفلت من عقابه.

ثانياً: جاءت كلمة (الريح) في بعض الآيات لتوضيح حالات معيَّنة، تتضح من خلال كل آية، وردت فيها كلمة (الريح)، وتدل على معنى يتضمن الضرر والبعد عن الخير، وتتضح هذه المعاني التي ارتبطت بوصف الريح من خلال الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧].

تتحدث الآية الكريمة عمّا ينفقه الكافرون في الدنيا، وضرب له مثلاً يقتضي بطلانه، وذهابه دون عوض[1]، فمثل ما ينفقه الكافرون في بطلانه وعدم الانتفاع، كمثل زرع أصابته ريح فيها (صِرّ)[2]، شديدة البرد أو النار، ممّا يتسبب في إهلاكه وعدم انتفاع أصحابه بشيء منه، بعد أن طمعوا بتحقيق النفع والفائدة منه[3].

ولم يتحقق لهم خير من إنفاقهم؛ لأنهم قصدوا به كسب الثناء، وحسن الذكر ولم يقصدوا به وجه الله عز وجل[4].

وتقدير ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ [آل عمران: ١١٧]، كما يرى النحاس (ت٣٣٨هـ)، "كمثل مهلك ريح"[5]، ولعلّ هذا التقدير ينبئ بالهلاك والأذى الذي حملته الريح.

ب- ومن الآيات التي وصف الله عز وجل فيها حال الكافرين من خلال توظيف الريح قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

تتناول الآية الكريمة أعمال الكافرين التي قصدوا بها الخير من صلة الأرحام، وعتق الرقاب، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف وغيرها من أفضال بأنها في انعدام الفائدة منها وذهابها، كالرماد الذي طيّرته الريح[6]، فهم لا يتمكنون من الانتفاع بأعمالهم كما لا يُتمكن من الرماد

(١) انظر البحر المحيط، ج٣/٣١٤.
(٢) الصِرّ بالكسرة، والصرة شدة البرد، وقيل: هو البرد عامَّة، لسان العرب، ج٤/٤٥٠ باب (صِرّ).
(٣) انظَر فتح القدير، ج١/٣٧٤.
(٤) انظر الكشاف، ج١/٤٠٥.
(٥) إعراب القرآن، النحاس، ج١/٤٠٢.
(٦) انظر الكشاف، ج٢/٥٤٧.

الذي حملته الريح العاصفة[1]؛ وذلك لقيامها على أساس لا يرتبط بمرضاة الله والإيمان به[2].

ومن الواضح فيما سبق من تفسير لمعنى الآية أن تأثير (الريح) هنا تأثير سلبي يتضمن إلحاق الضرر، وإذهاب النفع، وقد اكتمل التعبير عنه بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، "أي ذي ريح شديدة عاصفة قوية"[3].

وقد يقول قائل: بأن الضرر إنما تحقق من: العصوف الذي هو صفة لليوم وليس للريح، فأردّ بما يلي: أولاً: ذكر أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) في تفسيره لـ(عاصف) بأن العرب حين تقول (عصف يومنا) تقصد اشتدت الريح فيه[4]، ثانياً: ما ذهب إليه الفرّاء (ت٢٠٧هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، إذ يقول: جاء (عاصف) هنا صفة لليوم في إعرابه، والعصوف للريح: وهذا يجوز على وجهين: الأول: أن العصوف وإن كان للريح فاليوم يوصف به؛ لأن الريح تكون فيه؛ ولذا جاز قولنا)يوم عاصف) كما جاز(يوم بارد) و(يوم حار)، والثاني: أن يكون المقصود (يوم عاصف الريح)، فحذف (الريح) لذكرها في أول الكلام[5].

وبهذا يثبت بأن إلحاق الضرر بالكافرين تحقق بعون الله بالريح العاصفة.

(١) انظر فتح التقدير، ج١٠٢/٣.
(٢) انظر الكشاف، ج٥٤٧/٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ج١١٧/٤.
(٤) انظر مجاز القرآن، ج٣٣٩/١.
(٥) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/(٧٣-٧٤).

ج- ومن الآيات التي وصفت حال الكافرين بذكر الريح قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أَرسَلنَا رِيحا فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ٥١].

تتحدث الآية الكريمة عن حال ابن آدم، وتصف جحوده للنعم، بأنه إذا رأى الغيث، استبشر وفرح به؛ لما يسببه من إنبات الزرع، وإذا بعث الله ريحًا، اصفرَّ بها هذا الزرع كفر بالله وجحد نعمه[١].

والريح التي تجعل النبات مصفرًّا قد تكون (حرورًا)[٢]،أو (احرنجمًا)[٣]، وكلتاهما تجعل النبات يابسًا ثم يصبح هشيمًا[٤].

وقد اختلف في تفسير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿ فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ١٢]، والمقصود بها كما يرى أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) النبات[٥]، وقيل: التقدير فرأوا السحاب[٦]، "لأن السحاب إذا اصفرّ لم يمطر"[٧]، وقيل: الضمير عائد على الريح[٨].

والتفسيران الأخيران ضعيفان في ما يرى أبو حيان (ت٧٥٤هـ)[٩]، وأرى ما يراه؛ بأن الأرجح أن الضمير عائد على النبات؛ يتضح هذا من سياق الآية الكريمة التي سبقت قوله تعالى: ﴿ فَرَأَوهُ مُصفَرّا ﴾ [الروم: ٥١]، وفيها يقول تعالى: ﴿ فَٱنظُر إِلَىٰ آثَٰرِ رَحمَةِ ٱللَّهِ كَيفَ يُحيِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠]، فرحمة الله التي تحيي الأرض هي (الغيث)، وآثاره النبات الذي ينتفع به الإنسان.

(١) انظر البحر المحيط، ج٢/٤٠٠.
(٢) الحرور: الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار، لسان العرب، ج٤/١٧٧(حرّ).
(٣) المحرنجم: "المجتمع، العدد الكثير"، لسان العرب، ج١٢/١٣٠، (حرجم) والكثرة هنا تدل على شدة الريح.
(٤) انظر الكشاف، ج٣/٤٨٥.
(٥) انظر مجاز القرآن، ج٢/١٢٥.
(٦) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٢٧٧.
(٧) البحر المحيط، ج٨/٤٠٠.
(٨) انظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٢٧٧.
(٩) انظر البحر المحيط، ج٨/٤٠٠.

والقول بأن الضمير (الهاء) عائد على الريح، يضعف حسب ظني من جهة تذكيره، فـ(الريح) وردت في القرآن الكريم مؤنثة، بدليل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقوله: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وغيرهما من الآيات، فلو كان الضمير عائداً على (الريح) لقال تعالى: (فرأوها)، وبهذا يضعف القول بأن الضمير عائد على (الريح).

أمَّا القول بأن (الهاء) عائدة على السحاب فيضعف بذكر (الريح) قبله في الآية؛ لما ثبت من تأثير الريح على النبت بإفساده وإهلاكه، فارتباط أثر الريح على النبت أقوى وأثبت من ارتباط أثر الريح على السحاب.

كل هذا - حسب ظني - يقوِّي القول بأن الضمير (الهاء) عائد على النبات ويضعف ما سواه، وبالتالي يثبت الأثر السلبي للريح المتضمن لمعنى الإضرار والإفساد لنعمة من نعم الله تمثلت بما تنبته الأرض من زرع؛ في سياق الحديث حول الجحود والكفر الذي يظهره البشر إذا فقدوا نعمة من نعم الله التي كانوا يستبشرون بوجودها وينعمون بخيرها، وكان حريًا بهم أن يصبروا على ما أصابهم من ابتلاء بفقدانها.

ثالثاً: جاءت كلمة (الريح) في بعض الآيات ترتبط بمعنى التسخير، أي أنها مظهر من مظاهر الطبيعة سُخِّر لخدمة الإنسان، وهي في جميع الآيات مرتبطة بسليمان (عليه السلام)؛ لأن الله سخرها لتجري بأمره كما يشاء.

وأول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [الأنبياء: ٨١].

ويتضح معنى التسخير للريح في الآية من خلال القراءات التي جاءت بها، فمن قرأ (الريح عاصفة)، بنصب الريح فهي عطف على الجبال المذكورة في

الآية السابقة لهذه الآية وفيها: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلجِبَالَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، والمعنى (وسخرنا مع داود الجبال وسخرنا لسليمان الريحَ)، وهذا التفسير في نصب الريح أجمع عليه غير واحد من المفسرين[١]، وعاصفة حسب هذا التفسير منصوبة على الحال، العامل فيها سخرنا[٢]، وقد أوضحت معناها في موضع سابق من هذا البحث، ويتضمن الريح الشديدة القوية[٣].

ومن قرأ (الريح)[٤] مرفوعة جعلها مبتدأ، فإن ﴿وَلِسُلَيمَنَ ٱلرِّيحَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، كقولنا (لزيد مال)، و(الريح) حسب هذا الإعراب أيضاً تدل على معنى التسخير؛ لأن الله عز وجل قال بعدها: ﴿تَجرِي بِأَمرِهِ إِلَى ٱلأَرضِ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وفي هذا دليل على أن الله عز وجل سخرها له[٥]، وعاصفة حسب هذه القراءة حال العامل فيها ما يتعلق به الجار[٦].

والتقدير (ولسليمان الريحُ مسخرة)، أو برفع الريح على الابتداء والخبر في المجرور المتقدم عليها[٧].

وسواء كان تقدير الريح على النصب أو على الرفع فهي لا تخلو من معنى التسخير، وتسخيرها خاص بسليمان (عليه السلام) بإذن الله.

وفي هذه الآية -إلى جانب معنى التسخير- صفة لهذه الريح تتضح من قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهر وَرَوَاحُهَا شَهر﴾ [سبأ: ١٢]، والمعنى أن جريها الغداة يقدّر شهر، وجريها بالعشيّ كذلك[٨]، ومعنى هذا أنَّ مسيرَها شهرين

(١) انظر معاني القرآن، الزجاج، ج٣/٤٠٠، وانظر إعراب القرآن، النحاس، ج٣/٧٦، وانظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧، وانظر تفسير ابن كثير، ج٤/٥٧٩.
(٢) انظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/١١٧.
(٤) وهي قراءة عبد الرحمن الأعرج والسلمي وأبي بكر، انظر فتح القدير، ج٣/٤١٩.
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٣/٤٠١.
(٦) انظر البحر المحيط، ج٧/٤٥٧.
(٧) انظر البحر المحيط، ج٨/٥٢٦.
(٨) انظر الكشاف، ج٣/٥٧٢.

يتم في يوم واحد[1] وهذا يؤكد ما أراده الله في هذه الريح من إعجاز وفضل لسليمان (عليه السلام) بتسخيرها له.

ومن الآيات التي وردت فيها كلمة الريح بمعنى التسخير قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً حَيثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦].

فمن الواضح أن تسخير الريح لسليمان (عليه السلام) جاء مباشرًا بقوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرنَا ﴾، وبالتالي امتنع ضبط الريح بغير النصب.

وجاء تسخير الريح الواضح من قوله (فسخرنا) يتضمن تطويع هذه الريح وجعلها منقادة لأمر سليمان (عليه السلام)[2]، ويمثل المرحلة الأولى في التسخير، أما قوله (تجري بأمره) بمعنى أنها تطيعه إذا أراد جريها[3] فجاء متممًا ومكملًا لمعنى التسخير؛ كي لا يتبادر إلى الذهن أن الريح قد لا تنصاع لأمر سليمان ولو مرة واحدة؛ فهي مطيعة له دومًا وبصورة مطلقة بإذن الله.

وقوله عز وجل: ﴿ رُخَاءً ﴾ [ص: ٣٦]: أي أن هذه الريح لينة، ليست عاصفة[4]، وقيل: هي المطيعة التي لا تمتنع عليه[5]، وقيل: "هي التي "ليست عاصفًا ولا ليِّنة، وإنما هي بينهما"[6].

وفي موضع سابق من هذا البحث عند تناولي لقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجرِي بِأَمرِهِ ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ذكرت أن الريح وصفت بقوله تعالى (عاصفة) وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً ﴾ [ص: ٣٦]، وصفت الريح نفسها المسخرة لسليمان (عليه السلام) بأنها رُخاء، فكيف

(١) انظر الدر المنثور، ج٥/٤٢٧.
(٢) انظر فتح القدير، ج٤/٤٣٣.
(٣) انظر البحر المحيط، ج٩/١٥٧.
(٤) انظر معاني القرآن، الفرّاء، ج٢/٣٦.
(٥) انظر الكشاف، ج٣/٩٠.
(٦) الدر المنثور، ج٥/٥٨٧.

تكون عاصفة تارة ورخاء أخرى والمعنيان متغايران؟، والجواب يتضمن تفسيرين إمّا أن تجمع بين الأمرين، فتكون رخاء ليِّنة في نفسها، عاصفة في عملها مع هبوبها على حسب ما يريد سليمان (عليه السلام)، وإمَّا أنها لا تجمع بين الأمرين، وإنما تكون في وقت (رخاء)، وفي وقت (عاصف) حسب إرادة سليمان (عليه السلام)[1].

وهناك آية واحدة جاءت في سياق إثبات قدرة الله عز وجل، وهي قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣].

ولا يخفى ما في الآية الكريمة من دليل على قدرة الله عز وجل، تمثل في تطويع الريح لإرادته ومشيئته.

فبواسطة الريح يسيّر الله عز وجل السفن في البحر، ولو سكنت بمشيئته لبقيت راكدة لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على وجه الماء[2].

ولا تخلو الآية الكريمة من معنى التسخير إذ إنَّ الله سخّر الريح لخدمة الإنسان؛ لقضاء مصالحه؛ بارتحاله وتجارته وقضاء كل ما يبغيه من التنقل عبر البحر؛ ليتمَّ عليه نعمه، غير أن السياق الذي وردت فيه يتضمن الآيات التي تدل على قدرته عز وجل وفيها توضيح لمشيئته في إيقاف حركة الريح، فلا يقدر على هذا أحد سواه عز وجل، وفي هذا إثبات لوحدانيته وإبداعه في ما خلق.

وإن قيل بم تختلف هذه الآية عن الآيات التي ورد فيها معنى (التسخير) أقول: تلك الآيات جاءت خاصة بتسخير الريح لسليمان (عليه السلام) دون غيره من البشر؛ لبيان المعجزات التي كرم الله بها رسله، وهي لا تخلو من

(١) انظر الكشاف، ج٣/١٣٠.
(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٦/٢٠٦.

إثبات قدرة الله عز وجل وبيان إعجازه، غير أن معنى التسخير فيها غالب وواضح أكثر، كما بيَّنت في شرح الآيات، أمَّا هذه الآية وإن كانت الريح فيها لا تخلو من معنى التسخير فإنها جاءت في سياق إثبات وحدانيّة وقدرة الله عز وجل، بدليل قوله تعالى في نهاية الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

رابعاً: وهناك آيات وردت فيها كلمة (الريح) تحمل في كل آية معنى خاصًّا حسب السياق الذي وردت فيه، وهي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

الخطاب في الآية للمؤمنين، أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن التخاصم، وإن لم يلتزموا بأمره فشلوا بالجبن عن لقاء العدوّ وهزموا وذهبت ريحهم(١).

وتعددت معاني الريح في الآية، وتلخصت في ما يلي:

أ. الدولة، والمعنى تذهب دولتكم(٢)، إذ شبهت الدولة في نفوذ أمرها، بالريح وشدة هبوبها.

ب. فيقال(٣): "هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره"(٤).

ج. القوة، أي تذهب قوتكم(٥).

د. النصر، أي يذهب نصركم(٦).

(١) انظر البحر المحيط، ج٥/٣٣٢.
(٢) انظر مجاز القرآن، ج١/٢٤٧.
(٣) انظر الكشاف، ج٢/٢٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٢/٢٢٦.
(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج٣/٣٣٠.
(٦) انظر الدر المنثور، ج٣/٣٤٣.

وكما نلحظ فإن هذه المعاني متقاربة، يجمع بينها معنى الغلبة والانتصار وعلوّ الشأن.

ومما لاشك فيه أن الله عز وجل إذا ألزم عباده المؤمنين بأمر فإنما يكون ذلك لخيرهم وصلاحهم في الدنيا، وفوزهم في الآخرة، وإن لم يفعلوا حذّرهم من نتيجة تقصيرهم، ففي الآية إلزام للمؤمنين بطاعته عز وجل، وإن لم يلتزموا فشلوا وضعفوا وهزموا بذهاب انتصارهم وعلوّ شأنهم وما تتضمنه من معنى القوة، وهي معان تفهم كلها من كلمة ﴿ رِيحُكُم ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ . . . . ﴾ [يونس: ٢٢].

قد يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى للآية الكريمة أن الله عز وجل ذكر الريح في سياق حديثه عن تسخيرها لخدمة الإنسان إلى جانب تسخيره للبر والبحر وتمكين الإنسان من الإفادة منهما لقضاء شؤونه وتسهيل حياته، والحقيقة أن الآية لا تخلو من معنى التسخير، غير أن الغاية التي ذكرت من أجلها الريح أبعد من هذا المعنى وتتمثل في توضيح أحوال البشر.

ذلك أن الناس إذا أصابهم الضرر لجأوا إلى الله عز وجل وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى طبعهم من إهمال ذكر الله، وارتكاب الظلم الذي نهى عنه الله عز وجل[1].

ولما كان الخوف في البحر أكثر على الإنسان منه في البر جاء المثال به للتعبير عن هذا المعنى الكلي المتمثل في التجاء العبد لربه تعالى حال الشدة

(١) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢.

والإهمال لجانب حال الرخاء[1].

وبهذا فالريح الطيبة وهي اللينة التي توافق رغبة الإنسان عند هبوبها[2]، وظفت في الآية الكريمة لتدل على حال البشر في الرخاء، فهم لا يذكرون الله حينها ولا يعملون ما يأمر به، بل يرتكبون ما حرّمه ونهى عنه.

وأمَّا الريح العاصف والتي تشتد عند هبوبها[3]، ولا توافق رغبة البشر، وتعصف بهم حتى تكاد تهلكهم، فوظفت هنا للتعبير عن حالهم في الشدة، بذكرهم لله ودعائهم له والالتجاء إليه، طلباً للنجاة، فإذا ما استجاب لدعائهم عادوا إلى ظلمهم وطغيانهم بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣].

وبهذا نجد الطباق في وصف الريح بـ(طيبة) و(عاصف) جاء معبرًا تعبيرًا تامًا عن حال البشر وتقلب فعلهم، وعدم التزامهم بما أمر الله، والكشف عمّا في نفوسهم وتوضيح انعدام صدقهم في التعامل مع الله عز وجل.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤].

جاءت كلمة الريح في سياق قصة يوسف (عليه السلام)، بعد أن التقى بإخوته في مصر، وبعد أن عرفوه، ودعا لهم بالمغفرة، وطلب منهم أن يأخذوا قميصه ويضعوه على وجه أبيه، فيرتدّ -كما أخبرهم- بصيراً، حسب ما جاء في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة[4].

ولما خرجت العير هبَّت ريح فأتت يعقوب (عليه السلام) بريح قميص

(١) انظر نفسه، ج٦/٣٣.
(٢) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢.
(٣) انظر فتح القدير، ج٢/٤٣٤.
(٤) يوسف: (الآيات ٩٢-٩٣).

يوسف فقال[1]: ﴿إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٩٤]، وقيل: وجد هذه الريح من مسيرة ستة أيام، وقيل من مسيرة سبعة أيام[2]، وقيل من مسيرة ثمانية أيام[3]، وقيل من مسيرة عشرة أيام، وقيل من مسيرة ثلاثين يوماً[4]، وقيل: كانت مدة فراق يوسف (عليه السلام) عن أبيه سبعة وسبعين عاماً[5].

من كل ما تقدم يتضح أن معنى الريح في الآية الكريمة (الرائحة)، وليست الرائحة وحسب وإنما الرائحة الزكية العطرة؛ ذلك لأن هذه الريح (ريح يوسف) كانت سببًا في ارتداد بصر يعقوب (عليه السلام)؛ لأنها دليل على أن يوسف مازال حيًّا، وبهذا تحقق الفرج والفرح ليعقوب والد يوسف عليهما السلام؛ ونال جزاء صبره ما يزيد على سبعين عامًا.

ولعلّ ما يؤيد القول بأن الريح بمعنى الرائحة الزكية العطرة ما "قال مجاهد: صفقت الريح القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا، واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلاَّ ما كان من ذلك القميص"[6].

فمن الواضح من خلال هذا النص أن الريح التي أتت من قميص يوسف وأحسّ بها يعقوب والده، وجدها من روائح الجنة، ولا يوجد غيرها في الدنيا، وهل ينبثق من ريح الجنة إلا الطيب والعطر؟.

إلى جانب هذا كله فإن السياق الذي وردت فيه (الريح) في الآية جاء متضمنًا للإعجاز الذي يرتبط بذكر الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك بأن

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٤٧.
(٢) انظر الدر المنثور، ج٤/٦٦.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/٤٧.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٦/٣٢٣.
(٥) انظر نفسه، ج٦/٣٢٣.
(٦) البحر المحيط، ج٦/٣٢٣.

الريح المنبعثة من قميص يوسف (عليه السلام) كانت سببًا في ارتداد بصر أبيه يعقوب (عليه السلام)؛ لأنها دليل لديه على بقاء يوسف (عليه السلام) حيًّا؛ وانبعاث هذه الريح في الدنيا من الجنة بإذن الله، ومعرفة يعقوب النبي لهذا، لما أوتي من وحي من الله عز وجل.

المبحث الثاني

المعنى الدلالي لـ(الرياح) في القرآن الكريم

جاءت كلمة (الرياح) في سياقات عديدة في القرآن الكريم، وهي:

أولاً: إثبات وحدانية الله عز وجل من خلال تسخيرها بقدرة الله بصورة مطلقة دون تحديد لغرض هذا التسخير، ومن الآيات التي وردت فيها:

١- قوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وفي تصريف الرياح وإرسال السحاب وغيرها من الآيات أدلة على قدرة الله عز وجل وإثبات لوحدانيته[١].

وتصريف الرياح معناه أنها في هبوبها تأتي جنوبًا و شمالًا، وقبولًا ودبورًا[٢]، "وفي أحوالها حارّة، وباردة وعاصفة وليِّنة وعقمًا ولواقح"[٣]، "وقيل: تصريفها أن تأتي السفن الكبار بقدر ما يحملها، والصغار كذلك"[٤]، وقيل: التصريف إرسالها للنصر أو للهلاك[٥]، وهي تارة تأتي للرحمة وتارة تأتي للعذاب[٦].

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج١/٢٣٧.
(٢) انظر معاني القرآن، الفراء، ج١/٩٧.
(٣) الكشاف، ج١/٢١٠.
(٤) البحر المحيط، ج٢/٨١.
(٥) انظر فتح القدير، ج١/١٦٤.
(٦) انظر تفسير ابن كثير، ج١/٣٥٤.

ومن خلال ما تقدم من معان لمعنى (تصريف الرياح) يتضح لنا أنه يتضمن تسخيرها بقدرة الله عز وجل كيف شاء له أن يسخرها بخير أو شر، منفعة أو ضرر، حسب إرادته للغرض الذي بعثها من أجله، وفي كل هذا دليل على وحدانيته وقدرته عز وجل.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٥].

ويقال فيها ما قيل في الآية السابقة.

ثانياً: وردت كلمة (الرياح) لتوضيح قدرة الله عز وجل بتسخيرها للرحمة والخير للبشر في عدد من الآيات، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ [النمل: ٦٣].

هذه الآيات الكريمة جمعيها تؤكد قدرة الله عز وجل التامة وسلطانه العظيم من خلال إرساله الرياح[(١)].

أمَّا قوله (بُشْرا)[(٢)] فإذا قرأت بالتنوين وتسكين الشين فهي جمع، بمعنى أنها مبشرات تبشر بالغيث، وقرئت (بُشُرا)[(٣)] بضم الشين والتنوين، فهي بمعنى الجمع أيضًا، وإذا قرئت (بُشرى)[(٤)] بضم الباء بغير تنوين فهي بمعنى البشارة[(٥)]، و(بَشْرا)[(٦)] بفتح الباء أي مبشرات[(٧)].

وقرئت (نَشَرا) بفتح النون والشين ومعناه الإحياء الذي ينشر

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٥/١٥٦.
(٢) قرأ عاصم بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين، انظر النشر في القراءات العشر، ج٢/٢٧٠.
(٣) ورويت عن عاصم، وهو جمع بشيرة، انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.
(٤) وقرأ ابن السميقع وابن قطيب بشرى بألف مقصورة كرجعى وهو مصدر، انظر نفسه، ج٥/٧٧.
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٧١.
(٦) وهي قراءة السلمي ورويت عن عاصم، انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.
(٧) انظر معاني القرآن، الفراء، ج١/٣٨١.

السحاب وفيه المطر، الذي فيه حياة كل شيء، وقرئت (نُشُرا) بضم النون والشين فهي جمع (نشور) و(نُشر)[1]، "والنُشُر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب"[2]، وهي "متفرقة من كل مهبّ وجانب وناحية"[3]، وإذا قرئت بإسكان الشين (نشْرا) أسكن الشين للخفة وهي بمعنى (نُشُرا)[4].

ويتضح من خلال المعاني التي تقدمت لقراءة (بشرا) بالباء والنون أنها كلها تدل على الخير والرحمة للبشر، فإذا كانت بالباء(بشرا) فهي تبشر البشر بقدوم المطر الذي فيه حياة لهم وإذا كانت (نشرا) ففيها معنى الإحياء والخير المرتبط بقدوم المطر.

ولم يختلف القراء في نصبها في جميع قراءاتها، وهي منصوبة على الحال[5]، وهذا الإعراب يتفق والمعنى الذي ذكرناه، فالله عز وجل أرسل الرياح في حال كونها (بشراً) أو (نشراً) وفي كل منهما خير ور حمة كما تقدم.

أمَّا قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فمعناها أمام نعمة الله وهي المطر، الذي هو من أعظم النعم وأفضلها أثراً، وفي قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ [الأعراف: ٥٧]، تشبيه للمطر بإمام الرحمة على سبيل الاستعارة[6]؛ فهو أول الرحمة، ورأسها وأهمها وأكثرها خيرًا للإنسان، وقد جاء هذا التعبير عن المطر بالاستعارة من أدقّ التعبيرات وأجملها في وصف أثره الطيب، وخيره العظيم.

(١) انظر معاني القرآن، الزجاج، ج٤/٧٠، "قرأ ابن عامر بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمها، وضم الشين"، النشر، ج٢/٢٧٠.
(٢) معاني القرآن، الفراء، ج١/٣٨١.
(٣) مجاز القرآن، ج١/٢١٧.
(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٤/٧٠.
(٥) انظر الكشاف، ج٢/١١١.
(٦) انظر البحر المحيط، ج٥/٧٧.

وإذا كانت حقيقة إرسال الله عز وجل للرياح ناشرات أو مبشرات بقدوم الغيث تكررت في غير موضع في القرآن كما بينت في الآيات التي ذكرتها فإن الغاية منه التأكيد على قدرة الله عز وجل وإعجازه في ما خلق، وتوضيح فضله على البشر؛ ليتفكروا بها ويطيعوا الله ويشكروه على نعمه، بدلاً من عصيانه وإنكار فضله.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٦].

أي من دلالات قدرة الله عز وجل إرسال الرياح مبشرات[١].

ولا تختلف هذه الآية عن الآيات السابقة سوى في قوله (بشراً) أو (نشراً) في تلك الآيات، وهنا قال: (مبشرات)، وبذلك تحددت الغاية من إرسال الله للرياح بـ "أنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه"[٢]، و" إزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك"[٣].

ولا يخفى ممّا تقدم ما تحمله الرياح من خير ورحمة للبشر، بفضل الله عز وجل وقدرته على تسخيرها لهذه الغاية التي ذكرها في الآية نفسها بقوله: ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٦]، فما أتم نعمه عز وجل وما أعظم فضله!.

٣. قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [فاطر: ٧].

من تمام نعم الله ودلائل قدرته عز وجل إرسال الرياح التي تثير السحاب، ومعنى فتثير "أي تجمع وتجيء به وتخرجه"[٤]، فكأن هذه الرياح

(١) انظر فتح القدير، ج٤/٢٢٩.
(٢) الكشاف، ج٣/٤٨٤.
(٣) البحر المحيط، ج٨/٣٩٨.
(٤) مجاز القرآن، ج٢/١٥٢.

تهيئ السحاب للمرحلة التالية التي تصل في النهاية إلى إنزال المطر.

أما عن سبب مجيء الفعل (تثير) مضارعًا فيحكي الحال التي تتم فيها إثارة الرياح للسحاب، وتستحضر الصورة البديعة الدالة على قدرة الله، وهكذا يعبر العرب عن الفعل الذي فيه تمييز، وفيه شيء من الخصوصية للدلالة على حال تهمّ المخاطب[1].

٤. قوله تعالى: ﴿وَأَرسَلنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

وتتجلّى قدرة الله عز وجل في إرسال الرياح كما تبيَّن لنا في مناقشة الآيات السابقة، ويتم الله عز وجل نعمته علينا بجعل هذه الرياح لواقح.

ومعنى (لواقح) أنها تلقح السحاب، فتأتي بخير من إنشاء السحاب الماطر[2]، وتلقح الشجر فتفتح أوراقه، وتساعد على نضجه[3]، وبهذا يتحقق الخير الذي سببته هذه الرياح للبشر.

وقد ذكر بعض المفسرين أصناف الرياح التي يبعثها الله عز وجل خيرًا ورحمة للبشر.

وأول هذه الرياح المبشرة التي تبشر بقدوم المطر، ثم يبعث المثيرة التي تثير السحاب، ثم المؤلفة التي تؤلفه، ثم اللواقح التي تلقح الشجر[4]، وبذا تكون الرياح اللواقح هي المسببة لإنزال المطر، ونضج النبات، وهذا من تمام فضل الله علينا، فهل نحن له شاكرون؟.

ثالثًا: وردت كلمة (الرياح) في سياق ذكر أدلة قدرة الله عز وجل وتسخيرها لفعل لا منفعة فيه، وذلك في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱضرِب لَهُم مَّثَلَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱختَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيمًا تَذرُوهُ ٱلرِّيَاحُ

(١) انظر الكشاف، ج٣/٦٠١.
(٢) انظر معاني القرآن، الأخفش، ج٢/٦٠٢.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤/١٥٧.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٦/٤٧٤.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

في الآية الكريمة يخبر الله عز وجل عن اقتداره على كل شيء من الإنشاء والإفناء وغير ذلك، مما يدل على قدرته تعالى[١]، وما يفهم من الآية أن الحياة الدنيا فانية، والدليل على ذلك أن الذي مضى منها كأنه لم يكن[٢].

وفي الآية تشبيه لحال الدنيا في نضرتها، وما يتبعها من هلاك وفناء، بحال النبات يكون أخضر يانعاً ثم يهيج ويصبح هشيمًا فتذروه الرياح كأنه لم يكن[٣]، والهشيم هو اليابس، وتذروه الرياح أي تفرقه وتطرحه يمينًا وشمالا[٤]، وقيل: تنسفه[٥].

ومن الواضح من سياق الآية أن الرياح هنا لم ترد لفعل فيه خير البشر كما وردت في الآيات الأخرى السابقة الذكر، وإنما جاءت في سياق ذكر تحوّل حال الحياة من البهجة والخير إلى الهلاك وانعدام الفائدة، إذ جاءت الرياح؛ للقيام بتبديد ما آل إليه النبات من هلاك، فعملها متمّم ومؤكد لمعنى الفناء، و في فعلها هذا تأكيد لاقتدار الله عز وجل.

وأخيرًا بقيت مسألة مهمة أود الوقوف عندها وردت في معرض التفريق بين دلالة الريح والرياح في القرآن الكريم.

وفي هذا يذكر أبو حيان (ت٧٥٤هـ) بأن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت مجموعة (رياح)؛ وذلك لأن الريح الخاصة بالعذاب شديدة متلاحمة الأجزاء كالجسم الواحد، أمَّا ريح

(١) انظر البحر المحيط، ج١٨٦/٧.
(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٢٩١/٣.
(٣) انظر الكشاف، ج٧٢٥/٢.
(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٣٩٠/٤.
(٥) انظر فتح القدير، ج٢٩٠/٣.

الرحمة فهي لينة متقطعة؛ ولذا فهي (رياح) غير أنها أفردت في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]؛ لأن ريح أجزاء السفن واحدة متصلة، وجاء وصفها بالطيب فانتفى الاشتراك بينها وبين ريح العذاب[١].

فمن خلال هذه الدراسة فإن ما ذكره أبو حيان حول مجيء الريح الخاصة بذكر العذاب بالإفراد صحيح في الآيات التي ذكرت عذاب عاد قوم هود (عليه السلام)، وقد ذكرت هذه الآيات بالتفصيل في موضعها من هذا البحث.

ولا خلاف بين القُرَّاء في قراءة (الريح) الخاصة بالعذاب م[٢]، فهي لم ترد بالجمع مطلقًا.

أمّا ما ذهب إليه أبو حيان في تحليله لمعنى (الريح الطيبة) في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، فهو تحليل لا يخلو من عمق ونظر، فسياق الآية يثبت أن الريح لم تدل على معنى العذاب ، وإنما جاءت في سياق توضيح أحوال البشر، كما سبق وأوضحت، عند تناولي هذه الآية، فالريح الطيبة تدل على حال البشر في الرخاء، فهم لا يذكرون الله حين ذاك، ولا يلتزمون بما أمر به، وإنما يذكرونه وقت الشدة طلباً للنجاة.

وما ذهب إليه أبو حيان لا ينفي المعاني الأخرى التي دلت عليها (الريح) في القرآن الكريم.

وكنت ذكرت هذه المعاني في موضعها من هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، وكنت ذكرت أن الريح هنا معناها (الرائحة الزكية)، وغيرها من الآيات التي وردت في سياق التسخير، بتسخير الريح لسليمان (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦]، ولا يخفى ما في (رخاء) من

(١) انظر البحر المحيط، ج٢/٨٢.

(٢) انظر معاني القرآن، الفراء، ج٢/٢٦٩.

معانٍ فيها الخير، فهي اللينة الطيّعة، التي لا تعصف،.....الخ، وسخر الله عز وجل لسليمان (عليه السلام) الريح بهذه الحال كما سخرها عاصفة شديدة في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ ليتم نعمته عليه بتسخيرها له في كل حال حسب ما يريد.

وهناك معان أخرى للريح سبق وذكرتها عند مناقشة دلالة الريح في الآيات الواردة فيها - في موضعها من البحث - ولا أودّ الإطالة في ذكرها تجنبا للتكرار.

وإنما أجملت ذكرها لأدل على أن الريح في القرآن الكريم وردت لمعان عديدة إلى جانب معنى العذاب حسب السياق الذي وردت فيه.

أمَّا ما ذهب إليه أبو حيان بأن (الرياح) جاءت مجموعة عندما ارتبطت بمعنى الرحمة فصحيح، ففي الآيات التي وردت فيها (الرياح) وتحمل معنى الرحمة وردت مجموعة.

وقد يقال: إن القُرَّاء اختلفوا في قراءة (الرياح) الخاصة بالرحمة، ومنهم من قرأها مفردة أي (ريح)[1]، منها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، قرئت ريح بالإفراد[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الروم: ٤٨]، قرئت ريح بالإفراد[3]، فأقول ما قاله أبو حيان: إن من قرأ الريح بالإفراد، إنما أراد الجنس، فهي كالجمع[4].

وبذلك فإن الريح الواردة في سياق العذاب مفردة، والواردة في سياق الرحمة بالجمع أي (رياح)، كما ذكر أبو حيان.

(١) انظر معاني القرآن، الفراء، ج٢/٢٦٩.
(٢) وهي قراءة حمزة وخلف، انظر النشر، ج٢/٣٠١.
(٣) وهي قراءة حمزة وخلف، انظر النشر، ج٢/٢٢٣.
(٤) انظر البحر المحيط، ج٢/٨٢.

خاتمـــــــــة

بعد استقراء الآيات التي وردت فيها كلمتا الريح و الرياح ، وإمعان النظر في دلالتها، تظهر النتائج الآتية:

١- وردت كلمة الريح في بعض الآيات في سياق الحديث عن العذاب، إذْ كانت الوسيلة التي أرسلها الله عز وجل لتعذيب الكافرين، وأعداء الدين كقوله تعالى: ﴿ فَيُرسِلَ عَلَيكُم قَاصِفا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغرِقَكُم بِمَا كَفَرتُم ﴾ [الإسراء:٦٩].

٢- جاءت الريح في بعض الآيات لتوضيح حالات معينة، تتضح من خلال كل آية وردت فيها كلمة الريح، ويجمع بينها معنى الضرر والبعد عن الخير كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلحَيَوةِ ٱلدُّنيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آل عمران:١١٧].

٣- وردت (الريح) في بعض الآيات مرتبطة بمعنى التسخير، فهي مظهر من مظاهر الطبيعة سُخِّر لخدمة الإنسان، وهي في هذا السياق ترتبط بسليمان (عليه السلام)؛ لأن الله عز وجل سخرها لتجري بأمره كما يشاء؛ فتكون واحدة من معجزات الله لنبيه سليمان (عليه السلام)، ومما وهبه من فضل على العالمين، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَة تَجرِي بِأَمرِهِ ﴾ [الأنبياء:٨١].

٤- هناك بعض الآيات وردت فيها كلمة (الريح)، تحمل في كل آية معنى خاصًّا حسب السياق الذي وردت فيه، وتتمثل في ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفشَلُواْ وَتَذهَبَ رِيحُكُم ﴾ [الأنفال:٤٦].

وقد ذُكر للريح في الآية الكريمة معان تتلخص في ما يلي: الدولة، والقوة، والنصر.

ب- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُم فِي ٱلفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [يونس:٢٢].

والغاية التي وظفت من أجلها الريح هنا تتمثل في توضيح أحوال البشر؛ ذلك أن الناس يلوذون بالله عز وجل، ويتقربون منه عند إصابتهم بالضرر والبلاء، وإذا تبدل حالهم، وذاقوا الرحمة والرخاء عادوا إلى طبعهم من إهمال ذكر الله، وارتكاب المعاصي.

ت- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلعِيرُ قَالَ أَبُوهُم إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩٤]، ومعنى الريح هنا الرائحة الزكية العطرة.

أمَّا السياقات التي وردت فيها كلمة (الرياح) في القرآن الكريم فتمثلت في ما يلي:

١. إثبات وحدانية الله عز وجل من خلال تسخيرها بقدرة الله بصورة مطلقة دون تحديد لغرض هذا التسخير، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَصرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلمُسَخَّرِ بَينَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرضِ ﴾ [البقرة:١٦٤].

٢. وردت كلمة الرياح لتوضيح قدرة الله عز وجل بتسخيرها للرحمة والخير للبشر في عدد من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشرَا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ ﴾ [الأعراف:٥٧].

٣. وردت كلمة (الرياح) في سياق ذكر أدلّة قدرة الله عز وجل وذلك في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَٱضرِب لَهُم مَّثَلَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱختَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيما تَذرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [الكهف:٤٥].

ويتضح من سياق الآية أن الرياح لم ترد لفعل فيه خير للبشر، وإنما جاءت لتوضيح تحوّل حال الحياة من البهجة إلى الهلاك وانعدام الفائدة، بأن جاءت الرياح لتبدِّد ما آل إليه النبات من هلاك، وبذلك جاء فعلها متمِّمًا لمعنى الفناء، و مبيّنًا قدرة الله تعالى في خلقه.

وأستطيع القول: إن ثمة اتفاقًا في بعض السياقات بين دلالة الريح من جهة والرياح من جهة أخرى في معنى التسخير، أي تسخير الريح والرياح لخدمة الإنسان، مع فارق بسيط أنَّ تسخير الريح جاء مرتبطًا في جميع السياقات بسليمان (عليه السلام)، أمَّا تسخير الرياح فجاء للبشر عامة.

وفي معرض التفريق بين دلالة كل من الريح والرياح في القرآن الكريم فإن الريح المرتبطة بذكر العذاب جاءت مفردة، والريح التي ارتبطت بالرحمة جاءت بالجمع (رياح).

وإذا قيل: إن القراء اختلفوا في قراءة (الرياح) الخاصة بالرحمة، فمنهم من قرأها مفردة (ريح)، كقوله تعالى: ﴿وَأَرسَلنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:٢٢]، قرئت ريح بالإفراد، فيرد عليه بما ذكره أبو حيان: إن من قرأ الريح بالإفراد إنما أراد الجنس، فهي بذلك كالجمع.

التوصيات:

انطلاقًا ممّا ورد في البحث أوصي نفسي والدارسين بدراسة المفردات المرتبطة بظواهر الطبيعة في القرآن الكريم، والوقوف على الفروق الدلالية الدقيقة بينها مثل: (المطر والماء والسحاب) في القرآن الكريم دراسة دلالية؛ لأثر ذلك في استخدامها الصحيح لدى أبناء العربية، ودراسة أثر استخدام مفردتي (الريح) و(الرياح) في القرآن الكريم في الأدب العربي شعرًا ونثرًا.

المصادر والمراجع

١- إعراب القرآن، النحاس (أحمد بن محمد)، ج(١،٣،٤،٥)، ت: د.زهير غازي زاهد، ط٣، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٨م.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، ج(٢،٣،٦،٧)، مراجعة زهير جعيد، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٢م.

٣- تاج العروس، الزبيدي (محمد مرتضى الزبيدي)، ج٢، ط١،المطبعة الخيرية-مصر، ١٣٠٦هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (إسماعيل بن كثير)، ج(١،٣،٤،٥،٦،٧)، ط٢، دار الأندلس - بيروت،١٩٨٠م.

٥- جمهرة اللغة، ابن دريد (محمد بن الحسن)، ج٢، ط١،مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٤٥هـ.

٦- الدر المنثور، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ج(٣،٤،٥،٦)، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٤م.

٧- الصحاح، الجوهري (إسماعيل بن حمَّاد)، ج١، ت: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٢، دار العلم للملايين- القاهرة، ١٩٧٩م.

٨- فتح القدير، الشوكاني (محمد بن علي)، ج(١-٥)، د.ت.

٩- القاموس المحيط، الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب)، ج١، دار الجيل- بيروت، د.ت.

١٠- الكشاف، الزمخشري (محمود بن عمر)، ج(١- ٤)، ت: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م.

١١- لسان العرب، ابن منظور (جمال الدِّين محمد بن مكرم)، م(٢، ٤)، دار صادر بيروت، ١٣٠٠هـ.
١٢- مجاز القرآن، أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، ج(١-٢)، ت: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٥٤م.
١٣- معاني القرآن، الأخفش (سعيد بن مسعدة)، ج٢، ت: عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٥م.
١٤- معاني القرآن، الفرَّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، ج(١-٣)، ط٢، عالم الكتب -بيروت،١٩٨٠.
١٥- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السري)، ج(١،٣،٤،٥)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٨م.
١٦- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، و د. عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف أحمد، ج١، دار الفكر- بيروت، د.ت.
١٧- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (محمد بن محمد)، ج٢، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.